

## الباب الثامن

برنارد شو والفيلسوفين

للعلماء لورانس هاوسمان

أعتقد بأن برنارد شو هو القوة المدمرة المحطمة التي أطبقت على إنجلترا من جميع النواحي . فمن بدء القرن العشرين إلى يومنا هذا والتدمير الذي سببه هذا الرجل يعمل ما يعمل به بيتنا ، كما أنه أفاد ونفع إنجلترا إفادة ونفعاً عظيماً .

وليس في استطاعتي أن أتذكر إنساناً أمكنه أن يسبب هذا الانتقال العظيم في جيلنا والتحول الملموس في مجتمعنا ، بقدر فضل ذلك الرجل الذي استطاع أن يحول دفة السفينة في بحر الحياة وسط الزوء والاهواج ، فلا يفلت منه الزمام ، بل يظل قابضاً عليه بيد فولاذية تفل الفولاذ !!

ولو لم يهبنا الله هذا الإراندى ، اظللنا على حالنا الأول من التأخر فقد استطاع هذا الرجل أن يغير ، الطبقة الوسطى ، إلى طبقة وسطى عالية ، ..

خلق العصر الفيلسوفى منظماً في نواحيه السياسية والاجتماعية والاخلاقية ، وكانت له مزايا خاصة . ولكن هذه المزايا أصيبت بعدوى الفساد والتدخل . وبجانب هذا جرى مجرى آخر للفساد الاجتماعى مصدره أن الطبقة المتعلمة لم تجد منفعة تذكر في الطبقة الدنيا ، ولم تهتم بها أى اهتمام يذكر . فقد كان سيان عندها أن تحيا هذه الطبقة أو تموت ، نجوع أو تشبع !!

وإزاء هذه الانحلالات والتفكك في المجتمع في أواخر القرن التاسع عشر ظهر برنارد شو لينقذ البلد بمواهبه وعبقريته من المساوىء التي ألمت بالإنسانية ، وبشيء ما نفث فيها من سحرته بالنقايد والعرف والاوزاع . وابتدأ بسلسلة طويلة من كتابة المسرحيات التي مثلت على مسارح إنجلترا ... وسببت هذه المسرحيات ثورة تاريخية لمسارح إنجلترا ، وأجبرتنا جميعاً على أن نعرف بأن برنارد شو أعظم كاتب الدراما ظهر بعد شكسبير .

فكثيرون من كتاب الدراما يسيرون في طريق طويلة ، حتى يشهد لهم العالم  
بالعظمة والخلود ..

ولكن كاتباً لم يتورع مطلقاً عن إظهار عيوبنا ، وما يسود المجتمع من رياء  
وزيف هو الذى أجبرنا على أن نعترف له بالعظمة والخلود ..

فبرنارد شو الإيرلندى غذى المجتمع البريطانى بتحليله الخلق الانجليزى ، وتوغله  
فى معرفة أسرارهم ، ونحن الانجليز فى استطاعتنا إذا وقفنا على أخطائنا أن نضحك  
طويلاً من أنفسنا !!

غذى برنارد شو المجتمع الانجليزى عن طريق النكتة ، وليس عن طريق الحكمة  
إذ لو لم يجبرنا على الضحك لما استمعنا اليه مطلقاً .. فإجبارنا على الضحك تركنا  
فى ضحك طويل متواصل ، وهو يزيح لنا الستار عن حقيقة أنفسنا .. ولأنه قال ذلك  
بطريقه سهلة اكتشفنا أنه كان على حق فيما قاله . وبهذا تحول حالنا تدريجياً وحاولنا  
جاهدين أن نتفادي الأخطار ونتلافها !

وكان هذا التغيير فى أوج عظمته قبل الحرب العالمية الاولى ( ١٩١٤ ) واستمر  
كذلك يزايد ويتزايد ، وكانت النكتة ، تحمل فى طيها حكمة أيضاً ، ووراء قناع  
الضحك كان برنارد شو يقتل جرائم الفساد العالقة بالمجتمع !

قيضت الحياة برنارد شو ليقضى على العصر الفيكتورى ، وبدونه ما كان يتيسر  
القضاء على مخلفات ذلك العصر وخلق عصر آخر أكثر منه حيوية ونشاطاً ...  
فأنا نفسى فيكتورى ، وأشعر بمدى آثار ذلك الرجل فى نفسى .. فقد عرفته  
وعرفته جيداً عند ما كنت فى العشرين من عمرى .. ودعنى أقول لك الحقيقة ، فإننى  
بدأت بكراهيته ، لأنه كان يفسد ذوقى ، ويضعف حاستى بكل ما هو منطق معقول .  
ولا يزال فى كثير من الاحايين يسىء إلى ذوقى بمبالغاته المتعددة ، ليس للحقائق  
ذاتها ، بل بمبالغاته فى التعبير واستعمال الكلمات ..

وإن أنسى لا أنسى يوم وقفت أناظره مرة وفهمت بهذه العبارة ، إذا دفعنا  
للعمال أجوراً مرتفعة أو أحسن مما هى عليه الآن ، فما لا شك فيه أنهم لن يعرفوا  
كيف يستخدمونها الاستخدام اللائق ، وكيف أنه صرعى إلى الأرض بعدها ، وهذا  
ما جعلنى أن لا أدافع عن الأجور عن طريق المناظرات والمساجلات مرة ثانية فى حياتى .

## رسالة من هـ . ج ويلز

الى مورج برنارد شو

١٦ أبريل سنة ١٩٤١

عزيزى : ج . ب . ش .

رأيت الكتابة اليك اليوم بعد أن شاهدت مسرحيتك ، ماجور برابارا ، فهمى والحق يقال مبدعة وسارة . فقد خلقتها خلقا جديدا ، وألبستها ثوبا قشيبا من الآلهة والفخار . . . وقد كان يحسن ، باندرو اندر شانف ، أن يتقنع بقمناع رجل مراوغ داهية . وعلى كل لم يكن فى المسرح متسع لفرد واحد وقد حصلت أنا ومورا زوجتى على آخر مقعدين بشق الأنفس وبجهد كبير ، والحق أقول إنك ان تحصل على نظارة مستحبين مثل هؤلاء الذين كانوا هناك ، فقد ضحكوا ضحكا متواصلا بدون انقطاع وعلى الاخص الشبان فى أزيائهم العسكرية . .

عزيزى شو :

إن النظارة الغابيين قد ماتوا واندثروا ، واعتقد أن أفكارنا أصبحت تؤثر على الشباب والنشء بدرجة مستفحلة وكبيرة . . . كان ، بافلوف ، مثلك فى درجة نجاحك . وكان بارع الحديث مثلك أيضا ولكنه كتب شعرا شيطانيا مخالفا للعادة .

إننى لم أتعلم تحت نظام مدرسى ثابت . فقد تركت المدرسة فى الثالثة عشرة من عمرى وبعدها قمت بأبحاث بيولوجية فى كلية العلوم الملكية ، وعندما خرجت من العلوم الميكانيكية المادية ، قضيت نصف سنة فى دراسة علم الطبيعة فى كسنزجتون وضايقتنى كثيرا دراسة اللاتينى والألمانى . ومن المؤسف أنك لم تقم بأبحاث بيولوجية ولكنك فى درجة رفيعة من العلم والمعرفة . .

إن تقدمنا فى السن متعب ومنهك . إننى لم أشعر بمثل ما أشعر به اليوم من اضطراب قلبى مستمر ، وفقر دم فى المنخ ، وكثيرا ما أنسى كل شيء . كتبت أخيرا كتابا عن النظام العالمى الجديد ، كما أكتب الآن رواية . فاستمر أنت بمسرحيتك ومهما يحدث الآن ، فقد ضيعنا وقتنا سعيدا لأنفسنا .

المخلص

هـ . ج .